# الإيمانُ فضلٌ منَ اللهِ تعالى

في العامِ التّاسعِ للّهجرةِ، أرسلَتْ كلُّ قبيلةٍ وفدًا لمبايعةِ النّبيِّ ﷺ وإعلانِ إسلامِها، فبعثَتْ بنو سعدٍ ضِمامَ بنَ ثعلبةَ وافدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقدِمَ عليهِ وأناخَ بعيرَهُ على بابِ المسجدِ ثمَّ عقلَهُ ثمَّ دخلَ المسجدَ ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ في أصحابِهِ، وَكانَ ضِمامٌ رجلًا جلدًا أشعرَ ذا غديرتَينِ: فدخلَ المسجدَ فقالَ أيُّكمُ ابنُ عبدِ المطَّلبِ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: أنا ابنُ عبدِ المُطَّلبِ. قالَ: محمَّدٌ؟ قالَ: نعمْ. ... فقالَ: ابنَ عبدِالمطَّلبِ إنِّي سائلُكَ: أنشدُكَ اللَّهَ إلَهَكَ وإلَهَ من كانَ قبلَكَ وإلَهَ من هوَ كائنٌ بعدَكَ آللَّهُ بعثَكَ إلينا رسولًا؟ فقالَ: اللَّهمَّ نعمْ. قالَ: فأنشدُكَ اللَّهَ إلَهَكَ وإلَهَ من كانَ قبلَكَ وإلَهَ من هوَ كائنٌ بعدَكَ آللَّهُ أمرَكَ أنْ تأمرَنا أن نعبدَهُ وحدَهُ لا نشرِكُ بِهِ شيئًا؟ قالَ: اللَّهمَّ نعمْ. قالَ فأنشدُكَ اللَّهَ إلَهَكَ وإلَهَ من كانَ قبلَكَ وإلَهَ من هوَ كائنٌ بعدَكَ آللَّهُ أمرَكَ أن نصلّيَ هذِهِ الصَّلواتِ الخمسَ؟ قالَ: اللَّهمَّ نعمْ. قالَ ثمَّ جعلَ يذكرُ فرائضَ الإسلامِ فريضةً فريضةً، حتَّى إذا فرغَ قالَ: فإنِّي أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، ثمّ رجعَ إلى قومِه فأسلموا من يومِهم جميعًا (أحمد).

قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: "فما سمِعنا بوافدِ قَومٍ كانَ أفضلَ من ضِمامِ بنِ ثعلبةَ". (أحمد).

| | |
|---|---|
| ولما | حرف نفي يفيد عدم حدوث الفعل في الماضي ،مع احتمال حدوثه مستقبلا |
| يلتكم | ينقصكم |
| يرتابوا | يشكوا |

# الإيمانُ في القلبِ:

الإيمانُ تصديقٌ محلُّه القلبُ، وهو علاقةٌ بينَ العبدِ وربِّه، لا يعلمُه إلّا اللّهُ تَعَالَىٰ، وإيمانُ النّاسِ لا يزيدُ في ملكِ اللّهِ تَعَالَىٰ شيئًا، كما أنَّ عدم إيمانهم لا يُنْقِصُ من ملكِه شيئًا سبحانَه، فمَنْ يؤمنُ فإنّما يؤمنُ لنفسِه، إذ أنَّ اللّهَ ﷻ هو المنعمُ عليه بالهدايةِ، وقد كانَ جماعةٌ يقولونَ نحنُ آمنّا باللّهِ، ويجاهرونَ بذلكَ على سبيلِ المفاخرةِ، ويَمُنُّونَ على النّبيِّ ﷺ، كأنّهم

فعلوا ذلكَ خدمةً له، والحقيقةُ أنَّ الإيمانَ باللّهِ تعالى مصلحةٌ كبرى للإنسانِ نفسِه، فمِنْ مصلحةِ الإنسانِ أنْ:

- ◊ يبعدَ الجهلَ عن نفسِه، قالَ تَعَالَىٰ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة 257).
- ◊ يسعدَ نفسَه وينقذَها منَ الشّقاءِ. قالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه 124).
- ◊ يطمئنَّ لدنياه وآخرته. قالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد 28).
- ◊ ينالَ رضا اللّهِ وعونَه ﷻ. قالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة 119).

بفضلِ اللّهِ تَعَالَىٰ، وذلكَ بطاعةِ اللّهِ ورسولِه، فيكونُ لهم:

- ◊ الإيمانُ باللّهِ تَعَالَىٰ.
- ◊ أجرُ أعمالِهم كاملًا دونَ نقصٍ.
- ◊ رحمةُ اللّهِ تعالى ومغفرتُه وتجاوزُه عنْ أخطائِهم، قالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ (النساء).

( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

اي ان المؤمنون هم:-

- ◊ الّذين آمنوا بأركانِ الإيمانِ السّتةِ.
- ◊ لم يخالطْ إيمانَهم شكٌّ في هذهِ الأركانِ.
- ◊ ثمّ بيّنَ سبحانَه أنّ من صفاتِ المؤمنينَ بذلُ المالِ والنفسِ في سبيلِ اللّهِ تَعَالَىٰ، دليلًا على طاعتِهم للّهِ ورسولِه، وفقَ ما أمرَ اللّهُ بهِ.

(قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم)

يأمرُ اللّهُ تَعَالَىٰ نبيَّه ﷺ أنْ يردّ على أولئكَ الّذينَ يجاهرونَ ويفاخرونَ بما فعلوا إعجابًا بأنفسِهم، لعلّهم يعودونَ إلى صوابِهم، فقلْ لهم: هل تريدونَ أنْ تُثبتوا للّهِ دينَكم؟ وتدلّلوا على أنّكم مؤمنينَ وهو الّذي يعلمُ ما في السّمواتِ والأرضِ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الأنفال 43)، بلْ ويعلمُ كلَّ شيءٍ خارجَ السّمواتِ والأرضِ.

في الآيةِ الكريمةِ دلالاتٌ هامّةٌ، تحتاجُ إلى التمعّنِ للوصولِ إليها، منها:

◊ تكرارُ فعلِ الأمرِ « قُلْ» في الآياتِ، يدلُّ على أنَّ المقصودَ بالخطابِ، أشخاصٌ معينون (وفدُ بني أسدٍ فقط).

◊ الاستفهامُ ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾، يدلُّ على أنَّ وفدَ بني أسدٍ بذلَ جهدًا كبيرًا ليثبتَ أنّهم مؤمنونَ.

◊ قولُه تَعَالَىٰ بعدَ الاستفهامِ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يدلُّ على أنَّ الاستفهامَ توبيخيٌّ.

◊ قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ بعد قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يدلُّ على أنَّ هناك خلقًا غيرَ السّمواتِ والأرضِ.

لا يخفى على مسلمٍ أو مؤمنٍ أنّ اللّهَ يعلمُ ما يغيبُ عن حواسِّ الإنسانِ في السّماواتِ وفي الأرضِ، وقد يكشفُ اللّهُ شيئًا منَ الغيبِ للبشرِ فيصبحُ معلومًا، مثلًا: الكهرباءُ كانت موجودةً في الكونِ وبقيَتْ غيبًا حتى اكتشَفها العلمُ ووظّفَها لخدمةِ الإنسانيّةِ، ولا يزالُ في السّمواتِ والأرضِ غيبٌ كثيرٌ لا يعلمُه إلا اللّهُ تَعَالَىٰ، وسيبقى كذلك إلى ما شاءَ اللّهُ تَعَالَىٰ، وهذه دعوةٌ للمسلمِ للبحثِ والكشفِ عن أسرارِ الكونِ، وهي دعوةٌ للإبداعِ والابتكارِ، والمشاركةِ الفاعلةِ في رقيِّ البشريّةِ وإعمارِ الأرضِ، وإسعادِ الآخرينَ، وهذا ما تحرصُ عليه دولةُ الإماراتِ العربيّةِ المتّحدةِ.

نعمْ، إنّ اللّهَ تَعَالَىٰ عليمٌ بأحوالِ النّاسِ وأعمالِهم وأقوالِهم، فلْيحذَرِ الإنسانُ ولْيراقِبْ كلَّ مايصدرُ عنه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (الزلزلة).